الروح المعنوية للأديان عند داريوش شايغان
The Morale of Religions at Daryush Shayegan

فرحات عماري*[1]
[1] مخبر المجتمع الجزائري المعاصر
[1] جامعة محمد لمين دباغين-سطيف02 (الجزائر)

تاريخ الاستلام : 05-01-2019؛ تاريخ المراجعة : 17-03-2021؛ تاريخ القبول : 30-06-2021

ملخص :

يروم هذا المقال البحث عن التدابير المعرفية والمعنوية في رؤية المفكر الإيراني المعاصر"**داريوش شايغان" (1935-2018)** وقراءته لموضوع الأديان وإمكانية التعايش والحوار فيما بينها، فبحكم تخصصه في الأديان المقارنة وتضلعه في شتى جوانب المعرفة البشرية، يقدم **شايغان** نظرة عميقة مغرقة في التجريد تُقر بوجود تجانس ميتافيزيقي يربط بين الأديان، رغم الاختلافات الظاهرية التي طالت الأديان بدخولها سكة التاريخ، ويؤكد على وجود أسس مشتركة بين هاته الأخيرة تنم على وجود وحدة عضوية قارّة في كنه الدين ذاته، وبهذا يؤسس لحقيقة دينية متعالية عن الفوارق الثقافية واللغوية تكشف عن البعد الروحي والعرفاني للدين.

الكلمات المفتاح : الروح المعنوية؛ الأديان؛ العرفان .....

Abstract :

This article aims at searching for cognitive and moral measures in the vision of contemporary Iranian thinker Daryush Shayegan (1935-2018) and his readings on the subject of religions and the possibility of coexistence and dialogue among them, by virtue of his specialization in the comparison of religions as well as the depth of knowledge of various aspects of human knowledge, he offers a deep, abstract look that recognizes that there is a metaphysical homogenization that links religions, despite the apparent differences in religions throughout history, and he emphasizes the existence of common ground between this latter that shows the existence of a stable organic unit in the same religion, thus establishing a religious truth transcendental cultural and linguistic differences that reveal the spiritual and mystical dimensions of the religion .

Keywords: moral spirit; religions; mysticism...

I- مقدمة :

عرف الإنسان الدين منذ العصور الحجرية القديمة،كتعبير عن حاجة تربطه بهذا العالم والوجود، فتعددت تفسيراته للكون والظواهر لإدراك علة وجوده بالتالي حاول أن يضع قواعد ومرتكزات يحيا ضمن أفقها، ولقد نشأت الأديان في صيغة هذا التصوّر باختلافها وتعدد مضامينها، بداية من التصور الأسطوري للآلهة وتعددها إلى غاية ظهور الأديان التوحيدية (اليهودية، المسيحية، الإسلام)، وتفرعت هذه الأديان في العالم حسب البيئة الاجتماعية والحضارية التي تكونت فيها، ولا تزال هذه الأديان تتطور وتخضع للتأويلات والقراءات المتعددة كشكل يعبر من خلاله الإنسان على طراز ثقافته وحضوره الرمزي في الوجود. لكن هذا الاختلاف في الديانات أنتج الكثير من الصراع المرير بين الاتجاهات الدينية المختلفة، ونحن في العالم المعاصر أحوج إلى النظر إلى موضوع الدين والتفّكر فيه بعقلانية وبرؤية تستبصر وتتيح لنا الانفلات وتخطي الصدامات الطائفية والصراعات العرقية، والعمل على تكريس ثقافة الحوار والتعايش بين الأديان، ومن بين الأطروحات الجديرة بالدراسة في هذا المجال ما سعى إليه المفكر الإيراني داريوش شايغان من خلال أبحاثه في مجال الأديان وتضلعه فيها بتقديم رؤية متكاملة للمسألة الدينية، وذلك بداية بفهم الدين في ذاته وروحه وكنهه والبحث عن الأسس المشتركة بينها.

وسنحاول في هذا المقال الإجابة عن الإشكال التالي:

كيف قرأ داريوش شايغان مسألة اختلاف الأديان؟ وما هي الأسس المشتركة فيما بينها؟ وما هي الوحدة الجوهرية التي تتضمنها؟

I.1- داريوش شايغان الباحث عن الحقيقة في الأديان: إنّ المطلع على مؤلفات داريوش شايغان والقارئ لأفكاره، يبرز له بوضوح هذا التنوع الفكري القابع في المتن الفلسفي والديني الذي يحرره باعتباره غارقا في عوالم المعنى والتجريد، كما أنه يتمتع بالكثير من الجسارة والشجاعة في طرح أفكاره العميقة والتي يسعى من خلالها إلى نقد واستيعاب كافة أطياف الفكر الفلسفي والديني شرقه وغربه، هذا من جهة، ومحاولة إعطاء رؤية وقراءة شفافة لحل مشكلات الوجود الإنساني، من جهة أخرى، ولعّل هذا الإنهمام بالمسألة الدينية والأديان عموما له ما يبرره على أكثر من صعيد، من بينها :

- تهشّم البنى الروحية المشكلة للعالم الشرقي والحضارات التقليدية.
- مسار العلمنة الطويل وتبصير العالم وغروب عالم المعنى.
- انبثاق عصر العلوم التقنية وتغيير إحداثيات الوعي الإنساني.

سنعمد في هذا العنصر إلى تتبع المسار الفكري للفيلسوف الإيراني **داريوش شايغان** رغم أن الولوج إلى شخصيته يحتاج الكثير من الحذر،لأنه من صنف المفكرين الذين يتجدد نهر تفكيرهم وأطروحاتهم، فهو لا يستقر على حال وإنما يرتحل من محطة إلى أخرى ليعطي لأفكاره نوعا من الحيوية والسيرورة، وبالتالي سنعالج بشكل مقتضب رحلته الفلسفية في مجال الأديان وتضلعه فيها، وقبل ذلك سنتعرف على المولد والبيئة المتنوعة والغنية التي نشأ وترعرع فيها المفكر باعتبارها ثمرة لتفرع انشغالاته البحثية فيما بعد.

1- المولد والنشأة:

ولد **درايوش شايغان**[1] (2018-1935) Daryush shayegan بطهران من عائلة متعددة الثقافة واللغة والانتماء، فأبوه رجل أعمال أذربيجاني شيعي يتكلم الفارسية، وأمه من أصل جورجي ذات ثقافة روسية قوقوازية تنحدر من عائلة جورجية أرستقراطية تحولت إلى الإسلام، بالإضافة إلى أنه كان يعيش في منزله خالته وزوجها، ويعتبرهما شايغان عائلته الثانية؛ وفي هذا الجو العائلة الكبيرة تتكلم بلغات متعددة، فأمه تتقن ثلاث لغات "الجورجية وهي لغتها الأم، والروسية والتركية العثمانية"، ويتكلم أبوه الفارسية والتركية الأذربيجانية، نشأ **شايغان** بين هذا الفضاء المتنوع بتعدده الثقافي واللغوي، التحق في طفولته بمدرسة الآباء الفرنسيين "سان لويس Saint Louis" وهناك تلقى وازداد تعلقه باللغة الفرنسية والأدب الفرنسي[2].

هذا الخليط الإثني والثقافي المتنوع ازداد عمقا واتساعا في ذاكرة **شايغان** في مدرسة سان لويس بصفة كبيرة لأنها تضم الأرمن والآشوريين واليهود، ممّا رسخ علاقته أكثر بهم؛ يتذكر أستاذه في اللغة الإنجليزية الذي كان أرمينيا، وفي هذه المدرسة تعرف أيضا أول مرة على الموسيقى الغربية،كما أن طبيب العائلة كان زرادشيا وسائقها كان أشوريا[3].

كانت المحطة الثانية في حياة شايغان بدأت ترتسم معالمها بسفره إلى بريطانيا في عام 1949 وهو ابن الخامسة عشر من عمره ، أين واصل دراسته في كوليدج بادينكهام في لندن، وبعد أربع سنوات حصل على الشهادة الثانوية، فغادر سنة 1954، بناءً على رغبة أهله، إلى جينيف لدراسة الطب. في منتصف السنة الدراسية اكتشف أنه غير قادر على الاستمرار في دراسة الطب، ذلك أن رغبته كانت في مجال بعيد عن الطب وما ينشده له أبواه: إنه يميل للآداب والفنون والفلسفة، لكنه لا يجرأ على التمّرد على ما لا يرجوه له والده، فوجد أن الالتحاق بكلية العلوم السياسية هو الحل الوسط، وإن كان والده قد رفضه في البداية، غير أنه استجاب لرغبة ابنه في خاتمة المطاف، وبحسب قول **شايغان** هنا بدأت الانطلاقة الفعلية لحياته العلمية، فدرس، في آن واحد الحقوق والفلسفة وعلم اللغة وارتبط بعلاقة وثيقة مع الفنانين، وحرص على الاشتراك في الفصول الدراسية للأساتذة الكبار في جامعة جينيف، حيث كانت الحياة العلمية فيها شديدة الحيوية فحاضر على الفيلسوف وعالم النفس الفرنسي جان بياجيه (1896-1980) Jean piaget، وغيره من المفكرين

والأكاديميين المعروفين وأتيح له بواسطة أخته أن يتعرف على عالم "الباليه" على يد أستاذ روسي شهير -في جينيف فتحت له آفاق جديدة- حينما اكتشف كارل غوستاف يونغ Carl Gustav Jung من خلال أحد زملائه من تلامذة بياجيه، ممن كان يحضر المؤتمرات التي يحاضر فيها يونغ، تحدث إليه زميله عن شيء من أفكار يونغ، ممّا حفزه لقراءته والإطلاع على آثاره، وقاده ذلك للتعرف على المفاهيم المتعددة المعاني مثل "اللاشعور الجمعي، اللغة، النماذج المثالية الأزلية"، وأن النموذج الأزلي يلعب دور الغرائز نفسها مع الجسد[4].

2- الشغف بالهند ودراسة الأديان:

في هذه المرحلة التي فتحت الآفاق **لدرايوش شايغان** أثناء دراسته في جامعة جينيف، حيث سمحت له بالتعرف على الميراث الفلسفي بكل أطيافه، سواء الميراث الفلسفي الألماني أو الانجليزي، ومن بين الذين شحذوا التفكير الفلسفي لشايغان آثار ومؤلفات روني غينون(1886-1951) René Guénon وأستاذه في الأساطير الهندية جون هربرت Jean Herbert؛ اهتم **شايغان** في هذه المرحلة بدراسة التراث أو ما يسمى بالحكمة الخالدة أو الفلسفة الخالدة، لكن سرعان ما انفلت من قبضة التفكير الغينوني الذي ألهمته مؤلفاته عندما اكتشف أن روني غينون غلبت عليه أيديولوجيا الموروث والتعصب له رغم أنه يدّعي غير ذلك، لقد أدى به شغفه بالمحاضرات التي كان يقدمها أستاذه جون هربرت في الأساطير الهندية، وهو الذي منح له الفرصة، كما يقول أن يعكف على دراسة وتعلم اللغة السنسكريتية ليتعرف على بلاد الهند وأديانها من الداخل، وكانت هذه التجربة بالفعل مطية لقراءته النصوص المقدسة للأديان الهندية، وكان كتاب الأوبانيشاد أولها الذي مزال عالقا في ذاكرته[5].

عاد **شايغان** إلى إيران ودرّس اللغة السنسكريتية في جامعة طهران، والتي يعتبرها لغة حية ذات دينامية وحيوية فائقة النظير، وساعدته كثيرا في الإطلاع على الميراث الأدبي الهندي، ترجم في هذه المرحلة كتاب Bbogavad Gita " لحن الآلهة "، وهو الكتاب الذي لم ينشر أبدا لأن أوراقه ضاعت في مكتبته سنة 1963، تعرف من خلال إتقانه للغة السنسكريتية على النصوص الدينية المقدسة للهند وأساطيرها وأعلامها أمثال شانكارا Shankara ومؤلفاته[6].

التقى **شايغان** للمرة الأولى بالمستشرق الفرنسي هنري كوربان (1903-1978) Henry Corbin عام 1961 من خلال زميله سيد حسين نصر، بعد أن التحق بحسب تعبيره، بحلقة "أصحاب التأويل" في منزل السيد محمد حسين الطباطبائي (1904-1981) في طهران، وسيكون لكوربان تأثير مهم في حياته العلمية والمعنوية لاحقا، وحلقة "أصحاب التأويل" هي حلقة نقاشية، تتألف من خمسة إلى ستة أشخاص، يغوص فيها العلامة محمد حسين الطباطبائي مع هنري كوربان، في مناقشات عميقة يتحدث فيها الطباطبائي بالفارسية، وكوربان بالفرنسية، حول العرفان والتجارب الروحية والفلسفة. ويتولى الترجمة سيد حسين نصر Hossein Naser، وفي غيابه ينهض شايغان بالمهمة، ومع أنه واجه صعوبات لأول وهلة، إثر عدم خبرته الواسعة بالميراث الإسلامي المعنوي العرفاني، وافتقاره لمعجمه الاصطلاحي، بيد أنه كثف مطالعاته في هذا الحقل، حتى اكتشف خارطته العامة، وأمسك بخيوطه وتعرف مع مقولاته، فأضحى متمكنا من الترجمة...تفاعل شايغان مع المناخات المعرفية والمعنوية للنقاشات في حلقة "أصحاب التأويل"، وواظب على حضورها. ومثلت هذه الحلقة، منبع إلهام غزير كرّس النزعة المعنوية في شخصيته، وأوقد في وجدانه حماسا جياشا لمواصلة سيرته في اكتشاف عوالم المعنى والآفاق الروحية في الحضارات الآسيوية والأديان الهندية[7].

لقد كان التعرف على هنري كوربان ذا أثر عميق ومصيري بالنسبة لدرايوش شايغان، ذلك أن هنري كوربان كانت له الدراية الكافية بالتراث الفلسفي سواء الشرقي الصوفي أو الغربي الألماني، والشخصية المعنوية العميقة التي يتميز بها من جهة أخرى، فما إن عاد **شايغان** إلى فرنسا حتى التحق بجامعة السوربون، وأدى شغفه بالديانة الهندية والميراث المعنوي للإسلام إلى متابعة أطروحاته في الأديان المقارنة، وقدم بإشراف من هنري كوربان رسالة دكتوراه في جامعة باريس تحت عنوان "الهندوسية والتصوف قراءة في كتاب «مجمع البحرين» لدراشكوه" سنة 1968[8]. ناقش فيها الأصول

المشتركة بين الأديان الهندية -الهندوسية بوجه الخصوص- والدين الإسلامي حسب كتاب مجمع البحرين لدراشكوه،كما ألف كتابا حول هنري كوربان بعنوان:"هنري كوربان والمعنوية الاسلامية".

2.I- الأسس المشتركة بين الأديان:

درس **داريوش شايغان** الأديان الهندية وغاص في المعطيات المعرفية والدينية لبلاد الهند حتى صار شغوفا بها، وتخصص بعد ذلك في مقارنة بين الأديان، وليس المقارنة بمعناها الواسع والأكاديمي والمنهجي، وإنما حاول أن يقارن بين الأوضاع الفعلية للأديان في الهند وعلاقتها بإيران والصين فاكتشف أن هناك علاقة وطيدة بين هذا الثالوث الشرقي (الهند، الصين وإيران). وما زاد من حماسه، وجود ترجمة رسائل عديدة من اللغة السنسكريتية إلى اللغة الفارسية في عصر الملك أكبر كوركاني وزمن جهانكير Jahangir، وما لفت انتباهه في هذه المرحلة هو أنّ بلاد الهند صارت متحف حي نظرا لمدى قدرتها على استيعاب هذه الطاقة الدينية المتعددة والمختلفة.

يقع في الطرف الآخر الأديان الإبراهيمية، سواء كانت اليهودية أم المسيحية أم الإسلام والتي هي بحسب **شايغان** متشابهة جدا، كون لأن الإسلام يدعي أنه جزء من الدين الإبراهيمي القديم والمسيحية تعتبر النسخة المهذبة من اليهودية، لأن (يهوه) يمكن أن يكون عصبيا وقاسيا، لكنّ المسيح أصبح إنسانا متجسدا في الواقع الإنساني، وقد لاحظ **شايغان** أنّ الفيلسوف الإيطالي جياني فاتيمو Gianni Vatimo جاء بتفسير لطيف يقول فيه: "مع مجيء المسيحية فقد هُذب الشكل القاسي للدين". وكذلك فإنّ المسيحية مهدت لمبادئ علمنة المجتمع وأولى هذه المبادئ أنها قالت: ما لقيصر لقيصر وما لله لله، وذلك بجعل كل واحد منهما حسابه الخاص، والثانية إن الإله أصبح بذاته إنسانا، ولب الصورة الإنسانية، يعني أنه خلع تلك الصورة الإنسانية، يعني أنه خلع تلك الحالة الإنتزاعية الغاضبة، أي إنّ فاتيمو يعتقد أنّ المسيحية كانت بداية لانهيار النظم الدينية القاسية، وهذه أطروحة جديرة بالبحث. مضافا إليها فإن هناك وجوهًا كثيرة تشترك فيها الأديان الثلاث :

- سواء من حيث البنية الثقافية.
- أو من حيث الأصول اللغوية : لأن اللغة العبرية قريبة إلى العربية بحسب الفيلولوجيا philology (فقه اللغة التاريخي).
- كذلك من حيث البنية الأسطورية فكلاهما يعتقد بتاريخ النبوة[9].

ويضيف **داريوش شايغان** في بيان العلاقة المشتركة بين الأديان الإبراهيمية والهندية وعلاقتها بالأديان التوحيدية ضمن الفضاء الهندي الشرقي الذي نشأت فيه بقوله "ويقع في مقابلهما الأديان الإيرانية، ثم الأديان الهندية، وممّا لا شك فيه أن الإيرانيين والهنود كانوا معًا في عصر واحد، فقد كانوا معا في مجتمع واحد في الألفية الثانية أو الثالثة قبل ميلاد المسيح، حتى كان يقال لهم الأديان الهندية الإيرانية، وكانوا يشتركون في مجموعة كبيرة من الآلهة، مضافا إلى أن اللغة السنسكريتية هي التي ساعدت على تداول الأوستائية، ولا بأس أن نعرف أن الإيرانيين-في العصر الساساني- لم يكن يعرفون أن اللغة الأوستائية، من هنا كانت ترجمة الأوستا إلى اللغة البهلوية ترجمة ناقصة. وكان الأوروبيون أوّل من قرأ اللغة الأوستائية بمساعدة السنسكريتية؛ وعند ملاحظة لغة (الكات) وهي الأغاني المنسوبة إلى زرادوشت Zorastre ، وأناشيد (ريكودَا) الهندية نجدها متقاربتين، فهاتان اللغتان كالأختين في الواقع، هذه العلاقة الوثيقة بين اللغتين تدل على أن الناطقين بهما في زمن ما معا ...والحقيقة أن جميع الآلهة الهندو-أوروبية التي تقع في النظام الثلاثي، التي بحثها "دومزيل" (1898-1986) Georges Dumézil قد تحولت في الفكر الإيراني الزرادوشتي إلى مفاهيم تجريدية، وكان تأثير إيران والمعتقدات الإيرانية من قبيل: الاعتقاد بالآخرة، ومفهوم الشيطان (الشر) وحتى مفهوم الصراط المستقيم "جينوت" كبيرا جدا في الفكر اليهودي، وقد أشار اليهود في دراساتهم إلى أي حد كانت اليهودية متأثرة بإيران، ويعود ارتباط إيران باليهودية إلى عصر كورش، وإلى العلاقة الدائمة لليهود بإيران، وأنا أرى أن المسيحية هي الأخرى تأثرت بذلك بواسطة اليهود وهو ما حصل للإسلام أيضا"[10].

هذا بخصوص طبيعة العلاقات التي نشأت ورسخت التفاعلات التي تربط بين هذه الديانات في محيطها، فعلى اعتبار هذه الأصول المشتركة التي مَوضَعها **شايغان** عند استقرائه لتاريخ الأديان الشرقية (التوحيدية، والهندية والصينية،

والإيرانية) والتي مثلت الجانب الثقافي والأصل اللغوي، والبنية الأساطيرية، فهذا لا ينفي وجود تمايز وفروق بين هذه الأديان سواء التوحيدية أو الأديان الأخرى، وإذا سلمنا بوجود هذا الاختلاف فلا يمكننا الإقرار بوجود وحدة جوهرية، لأن الفرق الأساسي بين الأديان الإبراهيمية والأديان الأخرى هو أن هذه الأديان هي أديان توحيدية بالمعنى الأخص، وطبعا الأديان الأخرى هي أديان موّحدة، فلا يقال مثلا : إن الهنود ليسوا موّحدين، لكن إلى جانب توحيدهم هذا لديهم آلهة أخرى يمكن أن يعبروا عنها بالأسماء والصفات، فهناك نوع من التعددية في الأديان غير الإبراهيمية لا توجد في الأديان الإبراهيمية. ففي تلك الأديان [غير الإبراهيمية] تسامح أكثر؛ لأن في هذه الأديان سبلا متعددة، وتقبلا لتعدد المعتقدات والآراء، فالهندوية لما كانت رحبة، وفيها حالة من التقبل، إلى حد تحمّلت البوذية فيها، بالنحو الذي اُعتبر بوذا أحد فروع فيشنو والذي جاء للتضليل، لهذا السبب تجد في هذا الجانب اعتقادا بتكثر الآلهة والتعددية في الاعتقاد وفي الجانب الآخر حصر ديني يتجلى بإله الموحدين، إلى حد الادعاء أنّ جميع الأنظمة الشمولية (totalitarisme) منبثقة من الأديان الإبراهيمية، سواء كانت المسيحية أم غيرها؛ لأن شمولية تلك الأديان تنسجم مع هذه الحالة. ويجب الاعتراف أنّ الإمامة في التشيّع تلعب دورا مؤثرا، حيث إنّ الإمامة في الإسلام تؤدي دور المهايانة في البوذية لأنّ البوذية تنقسم إلى قسمين: الأول: البوذية القديمة وهي أسطورية؛ والثاني: القسم المسمى بالمهايانة (بالسنسكريتية: المركبة الكبرى)، وطريقة الـــــ"الساتوا" فعندما يصل البوذيون إلى مرحلة الـــــ"النيرفانا" يقومون بدور الوساطة، حيث إن البوذية تنكر الوجود ولا تعتقد بشيء سوى استمرار اللحظات التي تظهر بشكل متعاقب، واستمرار هذه اللحظات هو الذي يوهم الوجود، مثل أمواج البحر التي تتالى واحدة بعد الأخرى، أو الجمر الذي إذا دورته يبدو كحلقة مشتعلة[11].

وعطفا على كلام **شايغان**، فإنّ اختلاف الشرائع والأنساق الرمزية لا يجب أن تحجب عنّا ما هو أساسي، أي الخلاص المشترك للبشر ما دام أننا في مركب واحد. في هذا المعنى يقول راما كريشنا Ramakrishna (1836-1886) أنّ الأديان تشكل تحولات أو صورا ناتجة عن الجوهر الإلهي أي البراهما، إنّ الأديان تشبه الأمواج بالنسبة للمحيط. وفي الريغ فيدا Rig véda فإن "الحقيقة واحدة لكن الحكماء سموها بأسماء مختلفة"، فالفكر الفيدي يؤكد في الأوبانيشاد Upanishads على الوحدة، أي على "مفهوم الواحد بلا ثان..الذي لا يتغير ولا يتحول، وهو أصل كل تعدد وهي الروح المطلقة التي تشمل كل الأرواح الفردية كما البحر يشمل قطرات الماء الذي يكونه"[12].

I-3 روح الأديان (العرفان والمعنوية)

ينطلق **داريوش شايغان** من مسلمة مفادها أنّ الدين في عمقه قارْ في البنية الرمزية والأساطيرية للذات الإنسانية، ففي نظره يعتبر بمثابة تغذية حيوية للنفس[13]، ويتفق إلى حد كبير مع مقولة كارل غوستاف يونغ على أن الذات الإنسانية في طبيعتها ذات دينية، لأنها مستودع القيم الرمزية والمعنوية تعبر عن العالم الجواني والحالة النورانية المتسامية للنفس الإنسانية.

إنّ المستقرأ للمعتقدات وكل أشكال الحضور والتعبير الديني عبر التاريخ، يلحظ نوع من الاختلاف والتنوع بين هذه التعبيرات، وهذا لا ينفي طبعًا وجود وحدة جوهرية بين الأديان أو وجود شكل ضمني معنوي ترابطي لا يقر بالتفاوت بينها، وإنما هناك شكل من أشكال الوحدة الجوهرية بحسب شايغان، وهذه الوحدة تتعالى عن التمايزات والفروقات الثانوية والهامشية في الأديان، ونبه **شايغان** إلى هذه النقطة وهو الأمر الحاصل لدى العرفاء، فيمكن للحوار بين الأديان أن يتحقق إذا كان الجميع يتحلى برؤية يتعالى فيها عن هذا التمايز الحاصل في موضوع الألوهية، وهي بالتأكيد حاصلة لدى العرفاء، فلو جلس ميستر اكهارت Maitre Ekhart (1260-1328) وابن عربي Ibn Arabi (1165-1240) وشانكارا Shankara وأمثالهم جنب إلى جنب لكانوا متوافقين وتوائمين، ولكن لو هبطنا عن هذه الرؤية درجة لحصل الجدل والنزاع دون شك، فهناك صراع بين المسيحين من الكاثوليك والبروتستانت وبين المسلمين من الشيعة والسنة، وهذا الصراع قائم بين أتباع الديانات الأخرى[14].

هذه الرؤية الواحدية للأديان، والتي يستبطنها الدين في حد ذاته وفي جوهره، تنم على وجود شيء يتعالى عن الفروقات الثقافية التي أنتجتها الأديان بدخولها سكة التاريخ، وهذا الذي يعرف بالمقدس، فالإنسان لا يمكن أن ينفلت من قبضة المقدس ولا أن يحيد عليه متى حدث ذلك، وهذا ما تطالعنا به حقيقة الأديان وتاريخها، فحتى في الدين الشامني "Shamanisme" بحسب **شايغان** وهي الديانة التي لا تؤمن بالإله العيني لها علاقة وثيقة ومباشرة بالأمر المقدس لانّ خصوصيات الإله الثقافي ومزاياه، سواء كان إله المسلمين أو غيرهم هو السبب في الاختلاف بين الأديان...طبعا لا يعني عدم وجود الإله عدم وجود شيء مقدس، بل قد يكون موجودًا بشكل أقوى[15].

ولعل ما يحفظ للدين استمراره في الوجود البشري، بالرغم من هذا الازدياد غير المسبوق لعدد كبير من الجماعات الدينية هو "المعنوية"، ففي كل ديانة نجد عدد غير متوقع من أشكال الجماعات الدينية التي تختلف مرتكزاتها وشعائرها الدينية من دين لآخر، لكن الجانب المعنوي للأديان هو الرؤية الكونية القّارة في كنه الدين وروحه. ويعرف داريوش شايغان المعنوية بقوله "إنّ المعنوية هي ذلك الجانب من الدين الذي يتمتع بالأبدية، ولا يتغير، ولا يتبع تغيرات الزمان، كمفهوم المبدأ والمعاد وغيرها الموجودة دائما، وتتعلق بالحياة الوجودية للإنسان، وتتشابه في كافة الأديان[16].

وللمعنوية صلة وثيقة بالعرفان من جهة الفهم الداخلي للدين وتعاليميه وبنيته الروحية، لذلك كانت المعنوية سليلة العرفان وذلك الجانب الميتافيزيقي للدين المليء بالصور الرمزية الذي يستشعر به المتدين ويعرف حقيقة المقدس، فلو استقرأنا جميع العرفاء في العالم بحسب شايغان سواء كانوا من الشرق أو الغرب، من اليهود أو المسيحيين، للاحظنا أنّ فهمهم وتفسيرهم للقضايا الأساسية متقارب جدًا، ولكن ما إن ندخل إلى مسائل الفقه والقانون والقضايا التاريخية والزمانية، حتى تطفح الخلافات ويسود الجدال[17].

يفترض الحديث عن هذا الإنسان العرفاني الكوني وعن واحدية الأديان، من خلال إمكانية الانتقال بالوعي الديني من الأشكال الخارجية (العبادات والأنساق الرمزية) إلى الجوهر الباطني، من الاختلاف إلى الوحدة، بعبارة أخرى يصبح الباطن هو مركز التقاء البشر وشرط الوحدة الواحدية وتستدعي التجربة العرفانية تجاوز الأشكال الدينية ذات البعد الاجتماعي (من حيث التكاليف والحدود) لمعانقة تجربة كونية ميتادينية وميتاثقافية[18].

وقد غدا النزوع نحو المعنوية والحاجة إليها في العالم المعاصر، أكبر دليل وحجة للقول بأن فضاء الدين المؤسساتي قد ولى عهده، ولا مستقبل إلاّ لعودة الروح المعنوية للدين، فبعد مسار العلمنة الذي حاول نزع الطابع السحري عن العالم، وهو مسار يسميه شايغان الافتقار الأنطولوجي للعالم والإنسان، أي تجريد الزمن من صبغته الأسطورية والطبيعة من صبغتها السحرية وجعل العقل مجرد وسيلة[19].

أنتجت لنا هذه المتتالية إنسان أجوف وخاوٍ روحيا ومعنويا، جعلته يبحث عن شكل آخر من الدين بعد فشل المسيحية في إشباع حاجات الإنسان المعاصر، ويتمظهر ذلك في الإقبال الواسع للإنسان على مدارس اليوغا والديانة البوذية وتأدية طقوس المعرفة الباطنية.

إنّ هذا الجانب الأزلي من الدين، والذي يشحن الإنسان ويمثل الحبل الأنطولوجي الذي يربطه بالسماء، يعد بمثابة الميزان النفسي الذي يدرك من خلاله الإنسان حقيقة وجوده، ويشبعه معنًا ومبنًا لإدراك ذاته واستشعاره لمعنى المقدس، لأن المعنوية هي ذلك الشطر من الأديان، سواء كان الإسلام أم غيره، الذي لا يتأثر بتحولات الزمن وفيه جانب أزلي وأبدي.

لا شك أنّ الأديان كلها حاولت أن تقدم إجابة عن الأسئلة الكبرى المتعلقة بالوجود والإنسان وحقيقة الحياة والموت وما إلى ذلك.."لكن الروح المعنوية للأديان هي الخيط الناظم الذي يحكم البنى الميتافيزيقية المتجانسة، ويعبر عن ما هو مشترك بين كل الأديان. إن الأجوبة التي جاءت بها الأديان بخصوص المسائل الكبرى، متشابهة ومتوافقة ومظهر ذلك كما يقول شايغان أنها كلها تتفق أن هناك عالما آخرًا، وأنّ هذه الدنيا ستتغير، وكلها تؤمن ببقاء الروح، وبآخر الزمان وبما بعد الموت"[20].

فجميع الأديان تواجه هذه القضايا وجميع البشر بحاجة إليها، وذلك بسبب التركيب السيكولوجي للإنسان، أي أن الإنسان مادام إنسانا سيبقى يصنع تلك الصور الأزلية، ولعل ما يبرر هذا الحكم قول مارتشيا إلياد Mircea Eliade (1907-1986) "إنّ المقدس هو عنصر من عناصر بنية الوعي وليس مرحلة من مراحل تاريخ الوعي"[21]، ومعناه أنّ الإنسان ما فتأ يعيش ويستحضر ذاك البعد الروحي فيه، بطبع الصور الرمزية على وجوده، فالمقدس وهو تجلي للدين في الباطن مبثوث في بنية التفكير البشري منذ الأزل. وللفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن Taha Abderrahman رأي مهّم في تناوله العميق لمسألة الفطرة وعلاقتها بالتدّين، وربطها بحرية الاعتقاد الديني، إذ يقول:" ..إذ معاني الدين لا تعدو كونها الحقائق الروحية التي تحفظها الذاكرة الأصلية؛ لهذا لا يمكن أن يكون الدين، بالنسبة للإنسان أمرًا طارئًا يعرض من خارج لحياته قد يخرج عنه متى توفرت الإرادة وتهيأت الأسباب شأن العادة المكتسبة أو السيرة الموروثة، بل لابد أن يكون حقيقة ملازمة له لا يقدر الانفكاك عنها، كما لا يقدر أن ينفك عن عقله؛ فكما أنه لا يتصوّر وجود الإنسان بلا ذاكرة أصلية أو بلا فطرة، فكذلك لا يتصور وجوده بلا دين أو بلا تشهيد؛ وهكذا يتبين أنّ التدين سلوك فطري غير كسبي، وأنّ التشهيد فاعلية تذكرية غير تخيلية"[22].

أمّا في قضية أصالة حرية الاعتقاد التي يصنفها بموازاة الحق في حرية الحياة، وكضرورة للتأسيس الحوار التعارفي بين المتعاملين الدينيين، يقول: "لقد تقدم أن التدّين حقيقة فطرية في الإنسان، بحيث لا أقرب إلى قلبه، ولا أنفذ إلى روحه من هذه الممارسة؛ يلزم من هذا أنه لا فعل أحق بأن يتمتع المرء فيه بكامل الحرية من الفعل الديني؛ فلا ينبغي أبدا أن يكره المرء على اعتناق دين بعينه، أو يجبر على إتباعه حتى ولو جاز أن يكون فيه صلاحه؛ بل له أن يختار دينه بنفسه ويرتضيه، طوعا، مسلكا في حياته، حتى تثبت مسؤوليته على أعماله؛ وعلى فرض أن هناك ظروفا خارجية تكرهه على لزوم عقيدة بعينها، فإنّ له في حرية باطنه غُنيةً عن ظاهر القهر الذي يتعرض له؛ فليس لأحد سلطان على قلبه...لأنّ هذه الحرية، كما اتضح، حق إنساني أصيل لا ينتهك، ولا، بالأولى، يسلب، وقد يفوق هذا الحقُّ في أصالته حقَّ الحياة نفسه"[23].

II - خاتمة :

من خلال عرضنا لما سبق، بخصوص التدابير المعرفية والمعنوية في رؤية **داريوش شايغان** لموضوع الأديان والأسس المشتركة فيما بينها، فإن نتائج الدراسة نجملها في:

✓ قدّم **داريوش شايغان** قراءة مستفيضة لموضوع الاختلاف والتنوع في الأديان الهندو-شرقية بحكم تخصصه، هذه القراءة تُقر بوجود تجانس ميتافيزيقي ضمني تشترك فيها كل الديانات، وما يؤكد هذا التقارب بين العناصر المشتركة التي مثله في البنية الثقافية، الأصول اللغوية، البنية الأسطورية.

✓ إنّ المعنوية هي روح الدين بحسب شايغان والجانب الأبدي والأزلي الذي لا يخضع لشروط الأوضاع التاريخية، وبالتالي هو الفضاء المشترك الذي يلتقي فيه جميع العرفاء، وهو السبيل الأوحد لفتح جسر الحوار بين الأديان والتعايش فيما بينها.

✓ الوحدة الجوهرية الثاوية والقارة في الأديان هي روح العالم والاختلاف والتعدّد في أشكال التعبير الديني، هو بمثابة فهم تقليدي للدين، وهو ما يسعى العارف إلى تجاوزه وبالتالي انمحاء الحدود الجغرافية والثقافية.

المصادر و المراجع:

[1]. مفكر ايراني، (1935-2018)، تتلمذَ على يد المستشرق الفرنسي هنري كوربان. درَس في ايران وانجلترا وفرنسا وسويسرا، وحصل على دكتوراه الدولة في باريس سنة 1968، عن بحثه "الهندوسية والصوفية"،وشغل بعد ذلك كرسي أستاذ الفلسفة المقارنة بجامعة طهران، ثم عُيّن سنة 1977 مديرا للمركز الإيراني للدراسات الحضارية حتى سنة 1979 تاريخ انتصار الثورة الإيرانية، غادر بعدها إلى باريس حيث عين مديرا لمعهد الدراسات الإسماعيلية حتى سنة 1988. كتب شايغان باللغة الفارسية والفرنسية وترجمت أعماله الى اللغة العربية من ضمنها " **الأصنام الذهنية**

والذاكرة الأزلية، أوهام الهوية، النفس المبتورة –هاجس الغرب في مجتمعاتنا-، ما الثورة الدينية؟-الحضارات التقليدية في مواجهة الحداثة-، هوية بأربعين وجهاً " أنظر: كتاب ما الثورة الدينية؟-الحضارات التقليدية في مواجهة الحداثة-، ترجمة وتقديم محمد الرحموني، ط1، المؤسسة العربية للتحديث الفكري (جنيف)، دار الساقي، بيروت(لبنان)، 2004، ص 10-11.

[2] . Daryush Shayegan **(** 1992) , **Sous les ciels du monde-entretiens avec Ramin Janbegloo-**, Éditions du Félin, Paris, p21-22.

[3] . Ibid, p23.

[4] . داريوش شايغان (2016) ، **هوية بأربعين وجهًا**، ترجمة حيدر نجف، الطبعة الأولى، بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين، لبنان، مصر، تونس: دار التنوير للطباعة و النشر، ص.6 .

[5] . Daryush Shayegan **(** 1992) , **Sous les ciels du monde-entretiens avec Ramin Janbegloo**. Op.cit. p 74.

[6] . Ibid. p75.

[7]. داريوش شايغان (2016) ، **هوية بأربعين وجهًا**، المصدر السابق، ص.ص 11-12.

[8] Daryush Shayegan (1997)**, Hindouisme et Soufisme-Une lecture du « Confluent des Deux Océans »**, Éditions Albin Michel, Paris, p7.

[9]. على آل دهر الجزائري (2011)، الدين والبحث الديني في العالم المعاصر، حوار مع داريوش شايغان، **مجلة نصوص معاصرة**، 6، (23) ، لبنان: مركز التقلين مؤسسة دلتا للطباعة والنشر، ص. 150.

[10]. المرجع نفسه، ص.ص 150-151.

[11] . على آل دهر الجزائري (2011)، الدين والبحث الديني في العالم المعاصر، حوار مع داريوش شايغان، المرجع السابق، ص.ص 151-152.

[12]. رشيد سعدي (2011) ، **الدين بين الحقيقة الحصرية والعرفان الصوفي "أوهام الهوية الدينية في نظرية الصراطات المستقيمة"**، المغرب: أفريقيا الشرق، ص.41.

[13] . Daryush Shayegan **(** 1992) , **Sous les ciels du monde-entretiens avec Ramin Janbegloo**. Op.cit. p163.

[14]. على آل دهر الجزائري (2011)، الدين والبحث الديني في العالم المعاصر، حوار مع داريوش شايغان، المرجع السابق، ص.153.

[15]. على آل دهر الجزائري (2011)، الدين والبحث الديني في العالم المعاصر، حوار مع داريوش شايغان، المرجع السابق، ص.155.

[16] . المرجع نفسه، ص.156.

[17] . المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[18]. رشيد سعدي (2011) ، **الدين بين الحقيقة الحصرية والعرفان الصوفي "أوهام الهوية الدينية في نظرية الصراطات المستقيمة"**، المرجع السابق، ص.57.

[19] . داريوش شايغان (2004)، **ما الثورة الدينية؟-الحضارات التقليدية في مواجهة الحداثة-**، ترجمة وتقديم محمد الرحموني، الطبعة الأولى، جنيف: المؤسسة العربية للتحديث الفكري، بيروت: دار الساقي، ص.28.

[20] . على آل دهر الجزائري (2011)، الدين والبحث الديني في العالم المعاصر، حوار مع داريوش شايغان، المرجع السابق، ص.159.

[21] . ميرتشيا إلياده (2007)، **البحث عن التاريخ المعنى في الدين**، ترجمة وتقديم: سعود المولى، الطبعة الأولى، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ص.40.

[22] . طه عبد الرحمن(2012)، **روح الدين :من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية**، الطبعة الثانية، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص. 52.

[23] . المرجع نفسه، ص.69.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

فرحات عماري ،(2021)، **الروح المعنوية للأديان عند داريوش شايغان** ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 13(02)/2021، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص.ص 207-214.